

-الاسطول الاندلسي في عهد الولاة

وعندما أكمل المسلمون فتح الاندلس (92-95هـ) وبدأ عصر الولاة في الاندلس (95-138هـ) اطلت جيوش المسلمين على سواحل اندلسية طويلة ، تشرف على البحر المحيط (الاطلسي) وعلى البحر المتوسط مما يجعلها عرضة لأي هجوم بحري . ولذا أعتد المسلمون على دور الصناعة القديمة. كما أستفادوا من خدمات الخشب والحديد اللازمة لبناء السفن.

أن الاسطول الاندلسي لم يكن قوياً في هذا العصر ، حيث ظهر الاهتمام به في عصر الامارة .

-الاسطول الاندلسي في عهد الامارة الاموية

عهد عبد الرحمن الداخل

وفي عصر الامارة الاموية في الاندلس (138-316) اهتم عبد الرحمن الداخل بثغر الجزيرة الخضراء وعهد ادارتها الى الرماحس بن عبد الرحمن ، واشتهر أفراد هذا البيت بقيادة الاسطول الاندلسي على عهد الامويين .

لقد ازداد النشاط البحري في عهد الأمير هشام الاول هشام بن عبد الرحمن الداخل (172-180هـ) عل الساحل الشرقي للاندلس ، وكان قوام هذا النشاط حملات بحرية قام بها جماعات من البحارة ، هاجموا فيها بعض الثغور والجزر القريبة. وقد زاد هذا النشاط ايضاً في عهد الامير الحكم بن هاشم (180-206هـ).

ولما فتح الاغالبة جزيرة صقلية عام 212هـ ، بدأت الاساطيل البيزنطية تهاجم القوات الاسلامية فيها ، ففي عام 214هـ وجه الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ) ، حملة بحرية خرجت من ميناء طرطوشة الى صقلية لتعزيز الحامية الاسلامية فيها . وفي عام 221 هـ خرج أسطول أندلسي من ثغر طركونة وهاجم مرسيلية وما حولها.

مع كل هذا فإن البحرية الاندلسية كانت لا تزال محدودة في إمكانياتها ووسائلها ، فلم تكن لديها القواعد والمحارس والسفن الكافية لحماية جميع سواحلها ولاسيما الغربية منها ، ولهذا عجزت عن حمايتها عندما هاجمتها أساطيل النورمان عام 229هـ.

وكان لهذا الهجوم النورماني أثر كبير على الاندلس ، حيث ادى الى الاهتمام بالسواحل الغربية للاندلس وبناء التحصينات فيها. وكانت النتيجة المهمة هي إنشاء دار صناعة أشبيلية وإنشاء المراكب.

عناية عبد الرحمن الناصر بالأساطيل :

عندما بويع عبد الرحمن بن محمد - الذي تلقب بالناصر لدين الله فيما بعد- بالأمانة في سنة 300هـ ، كانت الاندلس تحتم بالثورات والفتن ، . وكان من الطبيعي أن يبدأ الامير عبد الرحمن بتدعيم الجبهة الداخلية قبل أن يواجه الاخطار الخارجية . وكانت اعظم المشاكل الداخلية التي واجهته هي ثورة عمر بن حفصون. الذي كان يسعى للاطاحة بدولة بني أمية والاستئثار بولايتها في ظل الخلافة العباسية ، فلما

سقطت دولة الاغالبة وقامت الدولة الفاطمية في سنة 296هـ ، اتصل بالمهدي ورغبه في ضم الاندلس اليه وعده، المهدي بالنصرة ، ووصلته بالفعل مراكب في البحر رست في سنة 301هـ بالساحل الجنوبي من الاندلس.

ومنذ ذلك الحين بدأ عبدالرحمن بن محمد أمير قرطبة يهتم اهتماما جديا بالأساطيل البحرية ، فعمل على انشاء أسطول قوي يدفع به عن الاندلس الاخطار الخارجية التي تتعرض لها. ويذكر أن أسطول الاندلس يتكون من مائتي مركب أو نحوها .

ويعتبر عبد الرحمن بن محمد المؤسس الحقيقي للأسطول الاندلسي ، فقد نشطت حركة الانشاء وصناعة السفن في عهده الى حد أنه أنشاء لهذا الغرض عددا كبيرا من دور الصناعة في مدن الاندلس ، واستخدم لذلك أخشاب الصنوبر التي تنبت في طرطوشة لجودتها وصلاحتها للإنشاء . ويأدر في سنة 314هـ بالاستيلاء على طنجة ومليلة ، وفي سنة 319هـ على سبتة ، وبذلك أصبح يمتلك معبري الاندلس ، أن عبد الرحمن بن محمد هو الذي أمر بتأسيس دار الصناعة بنطجة ودار صناعة قصر مصمودة القريبة من سبتة ، وكانت تنشأ فيها المراكب والحراريق التي يسافر فيها الى بلاد الاندلس .

ولم يلبث النزاع بين الفاطميين في المغرب والامويين في الاندلس أن تطور الى صدام بحري مسلح ، ففي سنة 344هـ قطع المركب الكبير الذي انشاءه عبد الرحمن الناصر طريق مركبا يحمل رسولا من الحسين بن علي أمير صقلية الى المعز لدين الله الفاطمي ، واستولوا على ما فيه . فلما بلغ المعز ذلك ارسل اسطولا بقيادة الحسين بن علي صاحب صقلية ، وسيره الى الاندلس ، فهاجم الاسطول الفاطمي مدينة المرية في نفس السنة ، واستولوا على المركب الاندلسي الكبير ، وكان قد عاد من الاسكندرية مشحونا بأمتعة للخليفة عبد الرحمن ، وكان رد الفعل الاندلسي على هذه الغارة البحرية شديدا ، فقد هاجم الاسطول الاندلسي بقيادة أمير البحر غالب سواحل افريقية في العام التالي (345هـ) في ستين سفينة ، وفي أول المحرم سنة 347هـ أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر صاحب الشرطة القائد أحمد بن يعلي بالخروج غازيا في الاسطول الى سواحل افريقية .

وجه الناصر أساطيله الى قطلونية وفرنجة للغزو ، ففي سنة 328هـ خرج محمد ابن رماحس في حربيتين الى طرطوشة .

-قيام المرية قاعدة بحرية

ظلت بجاجة تحتفظ بمكانتها طوال النصف الاول من القرن الرابع الهجري ولكنها اخذت تفقد بالتدريج اهميتها منذ أن امر عبد الرحمن الناصر ببناء المرية وتمصيرها سنة 344هـ. وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب " . وبازدهار وتألقها اضمحلت بجانه ، وأصبحت في طليعة القرن الخامس الهجري مجرد قرية ، في الوقت الذي ارتفعت المرية الى مصاف الحواضر .

وأصبحت المرية أهم موانئ الأندلس في القرن الرابع الهجري وأشهر مراسيلها وأعمرها ، وكان خليجها العميق الفسيح يضم معظم وحدات الأسطول الأندلسي ، فكانت المرية مرفأ أساطيل الأندلس ، وكانت دار الصناعة بالمرية تقوم بإنشاء السفن والعدة والآلات اللازمة للسفن وما يقوم به الأسطول ، وكان يحصن دار الصناعة برج يقوم على بابها ، مهتمة بدعم أسوارها والدفاع عنها في حالة اقتحام الأعداء لثغر المرية .

وكان لقائد أسطول المرية أهمية خاصة في الدولة الأموية ، حيث لم يكن يقطع فيها برأي دون الرجوع الى ثلاث شخصيات : الأول قائد جيش سرقسطة حاضرة الثغر الأعلى لأهمية موقعها ، والثاني قاضي قرطبة ، الثالث قائد أسطول المرية .

ويرجع سر اختيار الخليفة عبد الرحمن الناصر لهذه المدينة لتكون مرفئ الأساطيل الأندلس وقاعدة للحط والإقلاع الى حصانتها من جهة البر ، والحصانة والمنعة شرط من الشروط اللازم توافرها في المدن الساحلية. وبالإضافة الى هذا الشرط تمتاز المرية بتوافر شرط آخر وهو ان تقع المدينة الإسلامية بالقرب من نهر ، والى جانب هذه المزايا ، كان خليجها شديد الاتساع والعمق بحيث يمكنه ان يضم عددا كبيرا من السفن ، بالإضافة الى أنه كان يمتاز بهدوء مياهه وقلة أمواجه .

اكتسبت المرية ، شهرة كبرى في التجارة العالمية ، وقد عرفت بأنها باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق ، على الرغم من قلة خيرات اقليمها ، واعتمادها على ما كان يجلب اليها من ساحل العدو من ميرة وأقوات ، والسبب في شهرتها التجارية يرجع الى أنها كانت محط السفن القادمة من المشرق الإسلامي والاقطار الأوروبية .